



أعياد المسلمين وترسيخ معنى التكافل

*الشيخ راغب السرجاني

يحرص الإسلام على بناء مجتمع قوي قادر على مواجهة التحديات والأزمات المختلفة مجتمع حضاري راق يرحم القوي فيه الضعيف ويعطف الغني على الفقير ويعطي القادر ذا الحاجة. كما يحرص على بناء مجتمع أخلاقي متقارب ومتحاب ومتعاون على الخير وفعل المعروف ومن ثم جاء بمنهج رائع في بناء المجتمع البشري كآله وجعل كل فرد فيه متعاوناً مع غيره على الخير العام مُغيثاً له حال الحاجة والاضطرار.

إن قيمة التكافل بين الناس وخلق إغاثة الملهوف من الأمور التي لا يقوم المجتمع المسلم إلا بها إنها قيم إنسانية اجتماعية راقية وقد سبق الإسلام في تطبيقها على أرض الواقع سبقاً بعيداً فكانت النماذج الرائعة في الصدر الأول من الإسلام خير مبرر عن هذا الخلق الكريم. ولقد سلك التشريع الإسلامي لتشجيع المسلمين على التمسك بذلك الخلق طرُقاً متنوعة واتخذ وسائل متعددة ذلك لأنه دين عملي يربط الفكرة بالعمل كما يربط أيضاً النظرية بالتطبيق وليس مجرد خيال يداعب أحلام المصلحين. ومن ثم كانت هذه الوسائل التي اعتمدها الإسلام في ترسيخ هذا المعنى ابتداءً في أذهان المسلمين ولذلك أيضاً جاءت النصوص متوافرة تؤكد هذا المعنى وتعضده.

كما كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيقاً عملياً للعمل التكافلي والإغاثي ومن هذه الوسائل ربط الإنفاق في سبيل الله بأعياد المسلمين وذلك في عيدي الفطر والأضحى وهما عيدان عظيمان للمسلمين يأتيان بعد عبادات عظيمة أيضاً فعيد الفطر يأتي بعد شهر رمضان المعظم وأداء فريضة الصيام وعيد الأضحى يأتي في نهاية العشر الأوائل من ذي الحجة مع كل ما فيها من أعمال الخير وخاصة لأولئك الذين يؤدون شعيرة الحج فيأتي الحث على الإنفاق في هذه الأعياد كنوع من الشكر على أداء هذه العبادات العظيمة وخاصة أن نفوس المسلمين تكون قد هذبت في هذه الأيام الفاضلة فيسهل عليها الإنفاق والعطاء. ولما يكتفي التشريع الإسلامي بالحض على الإنفاق بصورة مطلقة هكذا ولكن يقننه في صور محددة تجعل المسلم حريصاً كل الحرص على أدائها وبذلك لا يضيع حق الفقراء في المجتمع ولما يتسرب الغل والحسد إلى قلوبهم. وهذا -لا شك- ينعكس على سعادة وأمن واستقرار المجتمع ففي عيد الفطر يفرض الله عز وجل على المسلمين أن يدفعوا زكاة الفطر للفقراء والمساكين فيقول ابن عباس رضي الله عنهما: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهارة للصدائم من اللغو والرفث وطهارة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.

وقد فرضها الشرع على كل المسلمين المالكين لما يزيد عن قوتهم وقوت أولادهم يوماً وليلة وهذا يعني أن جُل المسلمين يستطيع أداءها وبذلك يشترك المجتمع المسلم كله في عملية العطاء هذه ويظللهم فيها كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يرقق قلوبهم ويحثهم على الإنفاق حيث يقول: أغنوهم في هذا اليوم يقصد الفقراء. ويقول أيضاً: أغنوهم عن طواف هذا اليوم أي عن البحث عن الصدقة والعطايا.

أما في عيد الأضحى فإنه يُسنُّ لهم سُنة الأضحى وتُعَدُّ الأضحى أحد موارد التكافل الاجتماعي حيث يتم التوزيع منها على الفقراء والمساكين والتوسعة عليهم وإدخال السرور على قلوبهم بإطعامهم من لحومها في يوم العيد قال الله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَإِنْ حُرِّمَ الْمَكُوتَرُ: 2). وعن أبي جعفر الطبري عن الربيع قال: إذا صليت يوم الأضحى فأنحر.

وحدث النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه على الأضحى فبين فضلها وثوابها العظيم عند الله فعن عائشة بنت أبي بكر -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وأن الدم ليقع من الله بدمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفساً. ثم قدم القدوة والمثل للمسلمين وضحى بكبشين أملحين أقرنين واحد عن نفسه والآخر عن أمته فعن أنس بن مالك قال: ضحى رسول الله بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفائحهما.

فمن عظمة الشريعة أنها حثت على الأضحى في هذا اليوم فهذا يوم عيد لدى المسلمين ولما يجب أن يشعر الفقير فيه بالحاجة والمعوز لذلك كان توزيعها يحمل في جوهره تكافلاً تفيد منه الجماعة مادياً وخُلُقياً فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الأضحى: ... ويطعم أهل بيته المثلث ويطعم فقراء جيرانه المثلث ويتصدق على المسكِين المثلث. وذلك ليتحرى المسلم في احتفاله بالعيد عن ذوي الحاجة والمبائسين من أقاربه أو مواطنيه فينضح عليهم من معين بره ويخفف عنهم ألم حرمانهم ويشاركهم في فرحة العيد ومناسبته السعيدة وبذلك -أيضاً- يشعر الفقراء أنهم من الجماعة لهم عليها أن تتذكرهم وترعاهم في جدد الفقراء حبهم للأغنياء وثقتهم بهم والتفافهم حولهم كما يجدد الأغنياء وفاءهم وودادهم لأحبائهم وأقاربهم المحتاجين.

والأضحى بهذا تمثل رافداً قوياً من روافد التكافل الاجتماعي وتزيد من أواصر التقارب والتآلف بين أفراد المجتمع المسلم. وهكذا ربط الإسلام أعياد المسلمين بتقوية العلاقة بين أفراد الأمة وإبراز روح التكافل والتعاون وما أسعد مجتمعاً عاش بهذه القيم! وما أعظم جزاءه عند الله عز وجل.